نـافـذة

الأغبياء والمنافقون

وحدهم فقط مع المرابين، يصدقون أننا وحدنا نحن العرب من اخترع الإرهاب، ومن البديهي أنه من يخترعه يحتج إلى تسويقه، كما هو حال أي منتج ينتظر منتجه العوائد.
مباشرة أدخل على موضوعنا لأقول: هل ندرك الذي يحصل معنا وعلى جغرافيتنا العربية؟
هل هناك من عاقل يسعى لتشويه صورته وتدميرها أمام الآخر؟ ولماذا يوصم العربي مباشرة بالإرهاب عند أي فعل خاطئ صغيراً كان أم كبيراً، في حين نجد لدى عالم الغرب والشمال أن الإرهابيين الحقيقيين الذين يقومون بأفعال مذهلة في البشاعة، يتحولون إلى مرضى نفسيين ومضطربين عقلياً. لسنا أفضل الأمم، إلا أن حقيقة الحقائق تقول: إن ما لدينا من السلمية والمسالمة والكرم والحب والعواطف والترحيب بالضيف ما ليس لدى الآخر، هذه طباع العرب، ولا نقول هذا من باب المفاخرة، أو العنصرية، كما أن الديانة الإسلامية الحقة منحت العربي سمات مضافة، مثل السماحة واللهفة والحب وإغاثة الآخر.
الإشكالية التي ينبغي على جميعنا فك شيفراتها واستيعاب حضورها، تكمن في الموجات القادمة على هذه الأمة من غزوات سريعة واستعمار ظاهر ومبطن، والتي عملت فيها تقطيعاً وتقسيماً، وزرعت ضمنها بذور الطائفية والمذهبية، كما عززت لديها لغة العشائر والقبائل، وأصرت كل تلك الجهات على تجهيلها وتهميشها، ووصمها بالتخلف، والغاية دائماً تحويلها إلى مستهلك دائم لنتاجاتهم، حيث مراكز أبحاثها لا تتوقف عن العمل حتى اللحظة، لإبقائها على هذه الشاكلة.
لنعترف أننا بتنا منذ زمن ليس بالقليل، نتقبل كل ما يقدم لنا، ولم نقم بتقديم أي مبادرة منطقية عاقلة وواقعية، وكذلك لدينا الأخطاء المربكة فكرياً ما ليس لدى الآخر، نحن لم نعرف التخصص حتى اللحظة، ويبدو أننا لم نؤمن به، لأننا آمنا بأننا شعوب وقبائل وعشائر وأقليات وأكثريات، خلقنا لنتعارف، لا لنتقاتل، ولم نقدر حتى اللحظة أن ندرك هذا الطلب المقدس، ودُعينا لتعلم الرماية والسباحة وركوب الخيل، ولم نحقق أي نتائج مبهرة تذكر، لأن إيماننا عام وشمولي، وأنانا مزاجية وعصبية، وردود أفعالنا عنيفة وصاعقة ومدمرة في أكثر الأحيان واللحظات التي ينبغي أن تكون الهدأة فيها سيدة الموقف، والتحليل المنطقي العلمي الدليل والسمت لأي فعل أو حركة أو مسير، وعلى العكس تماماً اكتفينا بالتسوير والتحصين، والاستعداد الدائم للغزو والقتال ومعاقبة الآخر، أنشأنا المحميات، واعتبرنا وجودنا فوق الشبهات مغفورة جميع خطايانا عند إلهنا، وأكثر من ذلك نخفيها ونداريها، كما عين المرء ترى كل شيء، تغض عن هذا، وتسمح لذاك، نجيد الغمز بها واللمز بعد مرورنا متفاخرين بأننا كنا... فننسى أين نحن، المهم الحاضر المعيش تملؤه شهوة أريد من دون توقف، لا للمستقبل، لا وجود له في منطقنا من باب بيضة اليوم، ولا دجاجة الغد، وعصفور في اليد ولا عشرة على الشجرة.
العالم أجمع يدرك أننا مجتمعات ما زالت تؤمن بالحمية القادمة من العواطف، لذلك يعرفون أن لدينا ردود أفعال فوضوية، لا تأثير لها، وعلى استعداد دائم لهدم كل شيء بغاية إثبات الرجولة السطحية والنخوة واللهفة مشغولين بقضايا الذكورة، متمسكين بالقدرة على فعل أي شيء، مثلنا مثل كثير الحركات قليل البركات، أو مسبع الكارات، معتبرين العلم مثل الشعر، من دون الدخول إلى جوهره. نذهب للصين من أجل ثقب إبرة، وإلى الشمال نبحث فيه عن زر أو عروة. الحلم العربي متخصص بالنكسات التي تكاد تقصم ظهره، تحبطه آخذة معه طموحاته، تاريخ ملطخ بالدماء، وللأسف لا يمتلك سوى الممتلكات الدينية التي لم تقبل التطوير قيد أنملة، لا دور فيها للفنون أو الآداب، أو الفلسفات، أو حتى العلوم، واكتفت حداثته التكوينية بالبقاء تحت سقف الشمولية، حيث لم تتملكها العقلانية صاحبة اليد الطولى في التحليل المنطقي الذي يخضع الأشياء إلى عمليتي الرفض والقبول.
الواقع يشير إلى أننا ما زلنا في الوراء، وأننا مقصرون بحق أنفسنا ومجتمعاتنا ودولنا، والاعتراف ليس عيباً، إنما هو دليل على أننا موجودون، ولا يكفي أن نصل إليه فقط، إنما تشير الحاجة الماسة إلى البدء بعمل كبير، أوله قبول العقل العربي للانفتاح على الحياة وعدم بقائه تحت سقف الشمولية الضبابية التي تقبل بأي شيء، وترفض في الوقت ذاته كل شيء، الأزمات الكبرى تدعونا دائماً للتجاوب مع الوقائع، وتأخذنا لاستيعاب الاستحقاقات واستنهاض الأفكار العلمية والفلسفية التي تؤدي إلى تحقيق الانفراجات.
ما جدوى الفكر إن لم يكن قادراً على تقديم الموضوعية والدقة في تحليل المجريات، وإيمانه بعدم الانحياز إلى هذا أو ذاك، من أجل أن يستفيد منه الجميع. نحن العرب ننساق كثيراً وراء أهوائنا وأهدافنا الشخصية، فتظهر أفكارنا بعيدة عن الواقع، ولا تقترب من الحقيقة.
كان خطاب الرسول العربي القادم من الكتاب المكنون (كنتم خير أمة أخرجت للناس)، هل ندرك معنى كنتم وأين أصبحنا الآن؟ نحمل فقط الرايات السوداء والخضراء والحمراء، نعززها بلا إله إلا الله محمد رسول الله، نرفعها فقط على أدوات القتل والتدمير، نغرسها فوق الأشلاء والجثث وعلى أطلال المدن المدمرة والغابات المحروقة، تصدح المآذن بالتكبيرات صباح مساء.
أتوقف لأسأل سؤالاً: هل رأى أحد من العرب هذه الرايات فوق مراكز البحث العلمي، أو الجامعات، أو المصانع المنتجة، أو دور الفكر والثقافة؟
أيها العرب، كيف تفكرون وأنتم تتجهون للجهاد الأصغر الذي يعني قتالكم بعضكم بعضاً، وتدعون الجهاد الأكبر الذي يحمل مبادئ بناء الأسرة والمجتمع والدولة العصرية التي تواكب منظومة الحياة، فتسعى إلينا الأمم للتعارف، كما نسعى إليها؟
وللعلم، إن قوانين العلم، لا تعترف بوجود الغباء، وتؤمن باستثمار قدرات العقل الهائلة، وتقول: إن هناك من يستثمر عقله، فينجح، وهناك من لا يستثمره ليبقى في الوراء، وطبيعي جداً أن الذي لا يستثمر العقل، يغزوه النفاق، ليظهر نفسه بأنه عارف، أو عاقل سرعان ما يكتشفه الآخر، فيستعمره، أو يستعبده، أو يخضعه لأوامره.

د. نبيل طعمة

«ياسمين» طفل الشام الذي لا يشيخ

المهند كلثوم: انتشال الطفل من الكآبة والحزن وزرع الأمل والحب والإنسانية

مديرة مدارس أبناء وبنات الشهداء شهيرة فلوح تسلم المخرج كلثوم درعاً تكريمية

بنات الشهداء يرقبن سيرة الفيلم

وائل العدس
تصوير: طارق السعدوني

عرفاناً بالجميل لمن ضحى بروحه ودمه ليحيا الوطن عزيزاً شامخاً وتكريماً لأبنائهم وبناتهم ووفاء للمكان الجميل الذي تخرج فيه السينمائي المهند كلثوم ابن الشهيد، افتتح فيلم «ياسمين» بعرض خاص وأول بمناسبة يوم الطفل العالمي على مسرح مدارس بنات الشهداء بحضور المدير العام لهيئة مدارس أبناء وبنات الشهداء شهيرة فلوح.

ويمتد الفيلم على ٢٥ دقيقة وهو من نوع الوثائقي «ديكودراما»، ويتحدث عن أطفال سورية في ظل الحرب، إذ يعيش معظمهم ظروفاً صعبة وقاسية، سواء كانوا في الداخل أو في الخارج، ويستعرض خلاله آثار الحرب على أحلامهم وأفكارهم، ونظرة هؤلاء الأطفال لمجريات الحرب الشرسة على أرضهم وبيتهم ومدرستهم، ضمن نظرة حالمة بمرآة أصابتها شظية، لكنها ظلت تعكس صورة نقية لغد محمول على عطر الياسمين، فالياسمين هو طفل الشام الذي لا يشيخ، المُحمّل بعبق ضحكات الأطفال مع دمعاتهم السخية ومع نفوسهم الأبية، لذا فإنه يرسم لها غدها الأجمل.
أبطال الفيلم هم أطفال سوريون مهجرون عانوا الحرب، جزء منهم من مراكز الإيواء وجزء آخر من أبناء وبنات الشهداء.
وتلا العرض تكريم هيئة مدارس أبناء وبنات الشهداء لمخرجه المهند كلثوم تقديراً لجهوده في الإخراج السينمائي ولاسيما مشروعه الخاص بالطفل السوري وتسليط الضوء على ما تعرض ويتعرض له على مدى نحو خمس سنوات.
والفيلم من تأليف منعم السعيدي وكلثوم نفسه، وإنتاج «صورة الحياة» للإنتاج السينمائي والتلفزيوني، وبطولة الأطفال هبة المرعي، ولونا الأخرس، وسروت كبتول، وعبد الرحمن مصطفى.

مستقبل مشرق

واعتمد الشريط على الصورة الواقعية، والمباشرة في الطرح، متبعاً أسلوب (الديكودراما) لتجسيد وتوثيق ما جرى ويجري من إرهاب بحق السوريين على أيدي التنظيمات الإرهابية المسلحة برصد حجم الدمار الإنساني والعمراني، مبيناً أن وراء كل طفل قصة مؤلمة من تهجير وفقدان وذكريات لا تمحى.
وتعمد المخرج إخفاء وجه الأطفال بتصويرهم من الخلف للتأكيد أن معاناتهم هي معاناة كل طفل سوري خلال الحرب.
ويحمل الفيلم نظرة تفاؤلية بأن غيوم الحرب ستنجلي وأن آثار الحرب ستدفن تحت التراب بجهود رجال الجيش العربي السوري وصمود الشعب، وأن الطفل السوري يعي تماماً ما يريد ويتطلع لمستقبل مشرق، وأن الحياة مستمرة رغم كل الآلام وأن عبق الياسمين سينتصر على رائحة النار والبارود.
في الختام عندما ينثر الأطفال الياسمين وتبقى شجرتها خضراء، تشرق شمس الأمل لتوحي لنا عن انتهاء أيام حزينة لتبث في أنفسنا آمال يوم جديد، وتمسح بأشعتها الرقيقة دموع ليل كئيب.

رسالة إنسانية

وفي تصريح خاص للوطن أكد كلثوم أن الفيلم رسالة إنسانية للعالم بأن في سورية انتهاكاً لحقوق الإنسان والطفولة على يد الإرهاب المسلح ضمن محاولة سينمائية للدفاع عن مستقبلهم.
وقال: إن اختياره لمدارس أبناء الشهداء كعرض خاص هو محبته للمكان لكوني ابن شهيد وأنا أتشرف بأن أكون مع إخوتي في هذا المكان بمناسبة يوم الطفل العالمي، موضحاً أن فيلم «ياسمين» هو طفل الشام الذي لا يشيخ المحمل بعبق ضحكات الأطفال مع دمعاتهم السخية ومع نفوسهم الأبية الذي يرسم لها غدها الأجمل.
كما أكد أن الفيلم ذا الطبيعة الوثائقية يحكي عن أطفال سورية ومعاناتهم بسبب الحرب التي تُشنّ على وطنهم، وآثارها النفسية عليهم.
ويحاكي الواقع المرير الذي نعيشه والذي أثر بشكل سلبي كبير في أطفالنا نتيجة ما عاشوه وشاهدوه من قتل ودمار ودم وحرق فالحرب لم ترحم البشر ولا الشجر، لافتاً إلى أن أطفالنا هم عمود الحياة في هذا العالم الصغير لذلك يجب أن يكون لديهم الأمل والدافع لكي يحققوا أحلامهم وطموحاتهم لإعمار ما تهدم فكان لدي هدف من الفيلم وهو انتشال الطفل من الكآبة والحزن، وزرع الأمل والحب والإنسانية مع الوعي والفكر، وأطفال اليوم هم شباب الغد الواعد.
وقال الكلثوم: إن أبطال الفيلم هم شخصيات حقيقية عاشوا الواقع الصعب لذلك كانت أحاسيسهم صادقة وليست مجرد مشاعر أطفال أحبوا الظهور والتمثيل.

أمل المستقبل

بدورها قالت شهيرة فلوح: إن هذه المدارس النموذجية التي أسسها القائد الخالد حافظ الأسد، تخرج فيها آلاف الطلاب والطالبات وأصبحوا أشخاصاً مهمين على مستوى سورية والوطن العربي كالمخرج المهند كلثوم.
ورأت فلوح أن الفيلم حاكى الواقع الذي نعيشه الآن مؤكدة أهمية الطفل والطفولة وأن هؤلاء الأطفال هم أمل المستقبل ووجهه الجميل.
فأملنا كبير بأطفال سورية لتعود كما كانت بلد الأمن والأمان وبلد الحضارة والعلم.

> شهيرة فلوح: هؤلاء الأطفال أمل المستقبل ووجهه الجميل فأملنا كبير بأطفال سورية لتعود كما كانت بلد الأمن والأمان وبلد الحضارة والعلم

مشهد من الفيلم

أسرة الفيلم والإعلاميين مع مديرة المدارس

«سفر المسافر» لرنا سفكوني واقعية صادمة وقراءة غير ذاتية

إسماعيل مروة

العنوان فيه عودة للفظ قلّما يستعمل هو السفر بكسر السين، وأضيف إليه لفظ المسافر، فما عساه يقول هذا العنوان؟ وماذا تريد رنا سفكوني في سفرها هذا الذي لم تقم بتصنيفه أو بتأريخه، فهي ترى أن كل ذلك شيء غير مهم، وقد ألقيت الكتاب جانباً إلى أن أغراني ذات صباح أن أمد يدي لأبدأ قراءته، ومن الإهداء (إلى نملة) إلى المقدمة، إلى آخر قطعة في الكتاب (إلى نملة) وجدت نسقاً من الكتابة الممتعة التي تقترب من مفهوم الكشكول العربي الذي لا يغادر فكرة، ولا يستثني شاهداً، ولا يحاول أن يأخذ طريقة واحدة في الكتابة! تنتهي من قراءة مقدمته لتتابع من دون توقف في قراءة صفحاته، وعندما تنتهي تصل حد المتعة بالمحتوى ورشاقة الأسلوب، ولكنك تعجز عن تصنيفه!

الكاتبة تتوجه في مقدمتها، ومن دون أي حذلقة أو سابق إصرار، ولا تدّعي أن الكتاب مهم، ولا تدعي أنه يقدم شيئاً، وتترك للقارئ حرية أن يقرأ أو لا يقرأ، وحرية اختيار زمن ومكان القراءة، وتساعده في اختيارها حسب وضعه، لأنها حسب زعمها لا تقدم كتابة تحتاج إلى طقوس، ولكنها في الوقت نفسه تتسلل لتوحي للقارئ بأن الكتاب والقارئ متحدان، ولا تغيب المفارقة عن كل الخيارات، هذه المفارقة التي تصل

حد الفجيعة، والتي أزعم أنها قدمت رنا سفكوني كاتبة ساخرة متفوقة، وذات أسلوب خاص لا يقترب من الوعظ خطوة، ويجمع بين الوجدان والمعرفة.
«تستطيع قراءته وأنت على ظهر شاحنة، أو في ازدحام السرافيس، أو مضجع إلى رخامة قبر أحدهم.. أو حين تعلق يدك بمقبض باص البلدية، وجسدك يرقص مهتزاً أثناء الرحلة.. تستطيع قراءته قبل الصلاة وبعدها، أثناء طعامك، في فترة استحمامك، مع الصمت والضجيج، في زمنك الضائع أثناء انتظار دورك لدفع فواتير الماء والكهرباء والإنترنت والهواء. أي كتاب هذا الذي يقرأ في كل هذه الأوقات، وفي أوقات أخرى ذكرتها الكاتبة في المقدمة ولا يتسع المجال لذكرها، لتنتهي الكاتبة في مقدمتها إلى التوحّد بين الكاتب والقارئ «لتكون شريكي في العطش، شريكي في جفاف الحلق، وشريكي في البحث عن بئر أو نبعة أو ساقية.
أكتب لك يا صديقي القارئ لأننا صدفة ماء، أفلا يجوز لنا في سفر المسافر أن نكون شركاء؟».
«سفر المسافر» وزوادته سواء أكان مقيماً في أي ركن من أركان الوطن، أو كان مهاجراً إلى الخارج، إن كان متصالحاً أو غاضباً، إن كان قادراً واضحاً أو متلبساً.
«أن تقبض على هذا العالم فهذا يعني أنك تراه مجرماً، وأنك أضفت إلى نفسك صفة شرطي تعس بائس خائف من هذا العالم.
أما أن تركله
فهذا يعني أنك كورت كل مخاوفك حتى صار العالم على هيئة كرة أرضية تتحرك بإشارة من قدمك تلك متعة تستطيع ممارستها في وقت فراغك.
الفراغ الذي لا تملك سواه».
في الحالين، في كل الحالات ترى رنا سفكوني أن الفراغ هو حياتنا وسياستنا، وأننا نقضي وقتنا في الفراغ لنقبض أو لنركل، لا لنكون جزءاً من هذا العالم لنبذل جهداً في الاندماج فيه! وهذه رؤية عميقة في واقع الحال يصعب على الكاتب الذي لا يملك روحاً ساخرة أن يجدها.
وما من عبث اختارت المؤلفة نملة لغلافها، وإهداء لنملة، وختمت بالنملة مقالة تبين أسباب اختيارها للنملة.
وما ختمت به سفرها للمسافر الذي هو هي، وهو أنا، وهو أنت، وهو كل عازم على حركة وسكون إلا من الأدلة على وعي بضرورة الحياة والمقاومة باستشعار الحياة وما فيها، وهو أقل ما يمكن أن يقوم به المرء، وهو أكثر جدوى من القبض على العالم أو ركله:
«قرأت لنملتي كامل الأوراق، وأسمعتها نشرة الأخبار ونشرة الطقس، ونشرة الدواء، وغنيت لها أغنية فيروز: أنت وأنا عم يسألوني كيف.. منضل شو بيحلالنا نغني.. رقصنا ضحكنا أكلنا لعبنا حفرنا طمرنا سوية، حتى كسرنا الوحشة بقرون استشعار للحياة».
سفر المسافر كتاب لطيف فيه الكثير من التأمل والقراءة للحياة وما يجري بها على الأرض، وما حالة التطابق بين النملة والكاتب والقارئ إلا من باب الرغبة بإيجاد وسائل التواصل مع الحياة.